

فلسفة الردح من أجل الردح



لأنهم مارسوا الشعارات الخاوية التي لم يقدموا لها شيئا سوى الفشل. وكان الآخري بهم أن يستحووا من فشلهم نفسه، فإذا وجدوا له تبريرات، فقد كان من الخير أن يتواضعوا لها. الرداحون، يفترضون لأنفسهم سلطة المنع والتحريض والإدانة. وهي سلطة لا قيمة لها في الواقع، لأنها من واد مقطوع لا يرتاده إلا الرداحون زبد الهذيان الذي لا يسمن من جوع ولا يغني من فقر. مجرد صراخ في عدم الاختلاف أمر غير واقعي، والمقاربات بين صاحب هذا القرار الوطني وصاحب القرار الوطني ذاك؟ ولا منطق فيه. ولكن عندما يقف كل قرار وطني على القاعدة المشتركة ذاتها، فإن آخر شيء تحتاجه هو أن تتعامل معه كما كنت تتعامل مع "عرب إسرائيل" وتعيد توصيفه على هو. أما إذا كنت لا تعرف ما هي "القاعدة المشتركة"، ولا كيف تؤصل الوقوف عليها، فتلك مشكلة أخرى. أمناة الفصائل الفلسطينية الذين اجتمعوا بحضرة الرئيس محمود عباس، لم ينطبق عليهم وصف "تجار القضية" من قبل كما انطبق عليهم هذه المرة. ليس لأنهم هاجموا الإمارات، وليس لأنهم شطبوا التاريخ، والدور، والمواقف في خمس دقائق، بل

معجزا. لدينا من الخبراء والباحثين ما يكفي لكي يرسموا خارطة واقعية للمطلوب. أما الهذر والهذيان، فقد ملأنا الدنيا بهما صخبيا، ولم نحقق المراد، لأننا لم نكن نعرف ما هو المراد من الأساس، ولا كيف نصل إليه. وهل يفترض ألا تختلف التقديرات والمقاربات بين صاحب هذا القرار الوطني وصاحب القرار الوطني ذاك؟ عدم الاختلاف أمر غير واقعي، ولا منطق فيه. ولكن عندما يقف كل قرار وطني على القاعدة المشتركة ذاتها، فإن آخر شيء تحتاجه هو أن تتعامل معه كما كنت تتعامل مع "عرب إسرائيل" وتعيد توصيفه على هو. أما إذا كنت لا تعرف ما هي "القاعدة المشتركة"، ولا كيف تؤصل الوقوف عليها، فتلك مشكلة أخرى. أمناة الفصائل الفلسطينية الذين اجتمعوا بحضرة الرئيس محمود عباس، لم ينطبق عليهم وصف "تجار القضية" من قبل كما انطبق عليهم هذه المرة. ليس لأنهم هاجموا الإمارات، وليس لأنهم شطبوا التاريخ، والدور، والمواقف في خمس دقائق، بل

جوازات سفر إسرائيلية، فقد أصبحوا خونة بالتمام والكمال. هؤلاء اليوم هم أكبر قوة داخل إسرائيل لمواجهة نزعاتها وسياساتها العدوانية، وهم أكثر الضحايا لسياساتها العنصرية، ولكنهم في الوقت نفسه أكبر قوة للتغيير في إسرائيل. وهم جزء لا يتجزأ من شعب الـ7 ملايين في فلسطين التاريخية. لقد شمل الامتناع عن "التطبيع" مع إسرائيل حتى هؤلاء، ليقدم دالة صراحة على مدى سطحية المقصد منه. وثمة من نزع عنهم هويتهم الفلسطينية ليسيمهم، كما تسميهم إسرائيل، "عرب إسرائيل". لقد تنكرنا لهم، وأعدنا توصيفهم، كمن يتنكر لأخيه ويعيد تسميته، لمجرد أنه وجد نفسه على الجانب الآخر من الحدود. كل هذه كانت من أعمال الخوف من التطبيع. السؤال: ماذا حققنا من إدانة التطبيع؛ يحسن أن يُحمل على محمل السؤال: ماذا نريد من التطبيع؛ أو ماذا نريد من الامتناع عنه؛ وكيف نحول دون أن يتحول إلى ضرر؟ تقديم إجابات مدروسة، ليس أمرا

هناك، بطبيعة الحال، تداخلات تجعل القضية الفلسطينية قضية "داخلية" للجميع، بمقدار ما أنها قضية وطنية للفلسطينيين. وهناك خطوط حمراء أيضا. صارت من العرف والمألوف الذي لا يمكن لأحد أن يتخطاه. فهل تختلط الإمارات على ما تختط عليه مصر أو الأردن؟ الحقيقة هي أن لا مصر ولا الإمارات ولا الأردن تختط تلك الخطوط، وظلت تعلن احترامها، كما ظلت تعتبرها من أسس السلام العادل، وتجتهد بكل ما أتيج لها من وسائل لتبقيتها كحقوق مقدسة. لقد عرفنا من إثارة الذعر من التطبيع مستويات مختلفة، بما قد يشمل أن لا نقول لجارك اليهودي صباح الخير. وبما يشمل اعتبار زيارة المسجد الأقصى عملا من أعمال الخيانة العظمى. وذلك قبل أن يصحح الرئيس الفلسطيني بالبدء ذات يوم بالقول إن زيارة الأقصى ليست تطبيعا، وإن زيارة المسجد الأقصى ليست جريمة. وكل ذلك كان يدل على أننا لا نعرف ماذا نريد من مقاطعة إسرائيل. لأننا ونحن كنا نفضل ذلك، فقد كنا نقاطع الفلسطينيين أنفسهم، سواء من داخل أراضي 48 أو من داخل أراضي 67. وامتدت المقاطعة لتشمل حتى الزيتون الذي تنتجه المزارع الفلسطينية. كما أصبحت زيارة أهلك في الجولان المحتل، شبيهة تتطلب الحصول على براءة ذمة من جهاز المخابرات، قبل أن تقوم بها، وتحقيقا في الشبهات بعدها. إن ما جعل المقاطعة تفشل، هو أنها كانت عملا "ثورجيا" أحرق، لا علاقة له بتحديد أي أهداف واقعية. وكل عمل أعمى فقد أصاب الفلسطينيين بالضرر أكثر مما أصاب إسرائيل. ولقد بقينا ننظر، بسبب ذلك الحق المتواصل، إلى فلسطيني 48 على أنهم أنصاف خونة، لأنهم أتروا البقاء في منازلهم، تحت الاحتلال، ولم يختاروا التشرّد. وعندما وجدوا أنفسهم مضطرين إلى أن يحملوا

الكثير في الواقع، ولولا أنها أهملت حتى بلغت مستوى التفسخ والاهتراء، ما كنا انتهينا إلى ما نحن فيه. بقي أن ننسى كل هذا من أجل أن تطلق صواريخ الردح على الإمارات، مكررا الصواريخ العابرة للأحلاق التي لطالما أطلقتها على كل الذين ينظرون إلى الواقع من زاوية مختلفة، فذلك مما يجعل "فن الردح" فلسفة إساءة للذات. وبمقدار ما يتعلق الأمر بـ"القضية المركزية"، فثمة حقائق غالبا ما تميل هذه الفلسفة إلى القفز عنها. ومنها أن أحدا لم يفرض على الفلسطينيين شيئا، ولا تنكر لحقوقهم الوطنية المشروعة، ولا تفاوض نيابة عنهم، ولا أخذ ولا أعطى مما لا يملكه. ولئن أصبح من المعيب أن تكون لبعضنا مصالحه الخاصة، فإن "مصادرة القرار الوطني" التي طالما كانت قضية تستدعي التنازع بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية، حيال تدخلات الدول العربية (الأكثر ثورية منها)، تنقلب اليوم لتصبح سببا للعدوان المضاد. فإذا كان قرارك الوطني مقدسا إلى ذلك الحد، فكيف جاز أن تنكره على غيرك؟ التطبيع، في النهاية، مفيدا كان أم غير مفيد من وجهة نظرك، فإنه "قرار وطني" يمتلك القدسية ذاته. هذا يجعل الفلسطيني صاحب "القرار الوطني"، على سبيل المثال لا الحصر، آخر من يحق له إدانة أي صاحب قرار وطني آخر.

من حين إلى آخر يتجاهل الرداحون من "الثورجيين" العرب، وهم فصيلة قائمة بذاتها، كل شيء لينساقوا إلى مهاجمة أحد ما في قضية ما. اليوم صار التطبيع بين الإمارات وإسرائيل، يوفر مادة لا حدود لها لممارسة هذا "الفن" القبيح. وهو فن، بالآخري، من فنون العمى. لأنه لا يرى الحقائق كما هي، ويقدم تفسيرات لا علاقة لها بالواقع، ويستند إلى تحليلات خيالية تثير الدؤس. وهناك ثلاثة أركان للثورجية. المبادئ والمقدسات هي الركن الأول دائما، والثخون من جهة، وإدعاء الشرف المصون من الجهة الأخرى، هو الركن الثاني. أما الجمل العنصرية الطويلة، والمركبة تركيبيا تفغصيا، فإنها هي الركن الثالث. ولكي تمارس الردح، على أصوله، فيجب أن تتمتع بصفات أساسية. أولاها القابلية على الشطب. بمعنى أن تمنح نفسك الحق في أن تشطب التاريخ نفسه، والنضحيات، وكل شيء آخر لم يعد يعجبك. الصفة الثانية، هي الانقلاب السريع. خمس دقائق تكفي لتجعل الحق باطلا، والباطل حقا، طالما أنك تملك وصفة جاهزة من الهذيان الفلفلية التي تستطيع أن تستقرها في أي اتجاه تشاء. أما الصفة الثالثة، فهي ادعاء الطهر والشرف والبطولة من دون قيود، حتى لكانك مالكها جميعا، وتستطيع أن تدخ بها بمقدار ما تشاء على كل من تشاء، ومن ثم تحجبها عن من تعد تجد فيه صديقا. كم يوجد من القضايا التي يتعين الانتشغال بها، في "الساحة الفلسطينية" أو "الساحة السورية" أو "العراقية" أو غيرها؟ وكم يوجد فيها من الوجد مما يستحق الانتفات إليه ومعالجة مشكلاته؛ وكم من مظاهر الخلل السياسي والاقتصادي والإداري التي يبرز الفلسطينيون والعراقيون والليبيون تحت أنفقال كل يوم؟

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

لافروف والأزمة السورية الخامدة

يستمتعون بنصفهم التركي ونصفهم السوري. أما بقية أفراد الجوقة فقد تصالحوا مع معارضتهم عبر وسائل التواصل والفصائيات، مع لقاءات منفردة في جنيف أو غيرها بين الحين والآخر. تنتهي الأزمة هم سكان المخيمات ومراكز الاحتجاز في دول الجوار والعالم. هؤلاء من تمر الأيام عليهم باستمرار هذا الهدوء النسبي للأبد. وجهات المعارضة، كل على حدة طبعاً، يستغل الهدوء ذاته من أجل ترسيخ واقع الحال الذي ينعم بالتفوق في ظله اليوم. الكردي في شرق الفرات يعقدون الصفقات السياسية والاقتصادية مع الداخل والخارج. ومعارضو أنقرة

المقبل. وهو ما تنتظره إيران أيضا لأنه يحدد سلوكها في منطقة الشرق الأوسط خلال السنوات الأربع المقبلة. حالها في هذا حال العديد من دول العالم شرقا وغربا. بالنسبة للأطراف السورية، فإن الأزمة الخامدة تبقى أفضل من أي حراك سياسي أو عسكري يهدد مكتسباتها الحالية. النظام يحلم باستمرار هذا الهدوء النسبي للأبد. وجهات المعارضة، كل على حدة طبعاً، يستغل الهدوء ذاته من أجل ترسيخ واقع الحال الذي ينعم بالتفوق في ظله اليوم. الكردي في شرق الفرات يعقدون الصفقات السياسية والاقتصادية مع الداخل والخارج. ومعارضو أنقرة

المقبل. وهو ما تنتظره إيران أيضا لأنه يحدد سلوكها في منطقة الشرق الأوسط خلال السنوات الأربع المقبلة. حالها في هذا حال العديد من دول العالم شرقا وغربا. بالنسبة للأطراف السورية، فإن الأزمة الخامدة تبقى أفضل من أي حراك سياسي أو عسكري يهدد مكتسباتها الحالية. النظام يحلم باستمرار هذا الهدوء النسبي للأبد. وجهات المعارضة، كل على حدة طبعاً، يستغل الهدوء ذاته من أجل ترسيخ واقع الحال الذي ينعم بالتفوق في ظله اليوم. الكردي في شرق الفرات يعقدون الصفقات السياسية والاقتصادية مع الداخل والخارج. ومعارضو أنقرة

بعد سنوات ثمان عجاف يزور وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف دمشق. لا يحمل لافروف جعبته حلويا للأزمة السورية، وإنما قواعد توطيد استقرار بلاده على سواحل المتوسط. فقد حان الوقت لوضع النقاط على الحروف، وحسم الخلافات بشأن الإقامة الروسية الدائمة في سوريا. رأس الدبلوماسية الروسية يصل والأزمة السورية خامدة منذ نحو عام تقريبا. لا أحد يريد هذا اليوم أن تتفجر الأطراف المحلية والدولية متشغلة بقضايا أخرى أكثر أولوية الآن، ولا ضمير من استغلال هذا الوقت لترتيب البيت الداخلي في بعض التفاصيل التي يصعب إنجازها تحت وطأة الحرب. لافروف يريد أن يبدأ الحضور الروسي الفعلي في سوريا بمجاللات الاقتصاد والأعمال والثقافة والتعليم والدين، كما هو الحال في القطاع العسكري. ليس هذا فقط وإنما يريد أن يصبح هذا الحضور طائفا بشكل واضح مقارنة مع أي طرف أجنبي آخر على قائمة حلفاء دمشق، وعلى الأخص إيران. للروس شروط يجب على دمشق تنفيذها. وهم اليوم البوابة اليتيمة للنظام إن أراد الخروج من أزيماته الاقتصادية والسياسية. لن تقدم موسكو ضمانات للأسد في البقاء على رأس السلطة إلى الأبد. وإنما تعهدات بأن تبقى الأزمة خامدة حتى يحين الوقت لحلها بأقل الأضرار الممكنة له ولنظامه. بفضل الجمع الخمود. الأترك منشغلون بصراعهم مع الأوروبيين. والولايات المتحدة معطلة إلى حين انتهاء انتخابات الرئاسة في نوفمبر



يوما بعد يوم، نتيجة تراجع العلم والأخلاق والاقتصاد. المضحك المبكي أن المستضعفين في الداخل والخارج يحضرون دائما في الخطب والبيانات والمؤتمرات الصحافية. لم يغفل الوزير الروسي الحديث عنهم مرة أمام وسائل الإعلام، ولكن في الأروقة المغلقة مع الأسد أو غيره، ربما لا يأتي على ذكركم. فهم خارج قائمة أولويات بلاده اليوم. قد يعتقد البعض أن تبادل اطراف الحديث بين الأسد وضيغه الروسي بشأن اللجنة الدستورية هو من أجل السوريين المتضررين في الأزمة. وهو أمر حقيقي لو أن الروس فرضوا على "الرئيس" الحد الأدنى من الجدية في التعامل مع اللجنة. وهو الحد الذي يعترف فيه بوفده المفاوضات في جنيف. لا يستعجل الروس أبدا إنجاز اللجنة الدستورية لعمليها لأن ذلك يعكر صفو الأزمة الخامدة. وهم قبل ذلك يعرفون حق المعرفة، أن هذه اللجنة لن تستقيم في عملها طالما أن الكردي وكلاء أميركا في سوريا لا يحضرون على طاولتها، وأن مناطق الأترك في الشمال لن تعود بدستور جديد للبلاد. ما يهم الروس اليوم هو تلك الملفات الاقتصادية والعسكرية التي ترسم محددات وتجليات حضورهم الدائم في سوريا. وتلك النقاط التي تجعل من هذا الحضور أكثر ضررا لإيران، وأكثر منفعة لأميركا. ليس فقط من أجل إسرائيل، وإنما لأن طهران تنافس موسكو أكثر من واشنطن وأنقرة في سوريا. بات الروس يعرفون ماذا يريد الأميركيون في سوريا. ويعرفون أيضا متى وكيف يريدون الوصول إليه. لن تبخل موسكو على واشنطن في التفاهات، وهما اليوم لبعضهما أقرب من أي وقت مضى. وإن بقي ترامب في البيت الأبيض لأربع سنوات أخرى، ربما لن يتور بركان الأزمة السورية أبدا مجددا.